مجلة الآداب والحضارة الإسلامية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة -الجزائر
ISSN : 1112-4628, EISSN : 2588-2449
مجلد: 13 عدد 26 السنة: 2021

# مواقف فرحات عباس الاجتماعية و الاقتصادية
# من خلال بعض أدبياته
# "الشاب الجزائري و ليل الاستعمار"

الدكتورة فاطمة دجاج
أستاذة مؤقتة بجامعة عمار ثليجي بالأغواط(الجزائر)
fatimadjadj90@gmail.com

تاريخ الوصول : 28-03-2020القبول:24-05-2021. النشر على الخط:.....
.....Received :.....l Accepted :..... ...l Published online :.....

---

**ملخص:**

احتلت القضايا الاقتصادية و الاجتماعية أهمية خاصة في كتابي فرحات عباس "الشاب الجزائري" و "ليل الاستعمار" حيث برز من خلاهما فكره الاجتماعي و الاقتصادي، الذي سعى من خلاله الى تحرير الإنسان الجزائري اجتماعا و اقتصاديا ، و حمل هم مجتمعه الذي يخضع لسياسة اجتماعية و اقتصادية جائرة، الهدف منها سلب ممتلكاته و اذلاله حتى لا يقوى على النهوض مرة أخرى، و غرس مجتمع دخيل في وسطه أصبح هو المسيطر على مقدرات الحياة، و لهذا فان فرحات عباس رأى ضرورة النهوض بالمجتمع و الاقتصاد حتى يستعيد الجزائريون قوتهم و بالتالي يمكنهم المطالبة بحقوقهم و هذا يكفله لهم مجتمع متماسك و متحضر و اقتصاد قوي مبني على أسس صحيحة. و في هذا الصدد جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على فكر الرجل في هذين المجالين الذي اتضح من خلال مواقفه الواضحة فيما يتعلق بحياة الجزائريين الاجتماعية و الاقتصادية.

الكلمات المفتاحية: فرحات عباس، الجزائر، المجتمع، الاقتصاد، الاحتلال.

**ABSTRACT:**

Economic and social issues occupied special importance in the books of Farhat Abbas , 'The Young Algerian Man' and 'The Night of Colonialism', in which emerged through them the social and economic thought, through which he sought social and economic emancipation of the Algerian man, and carried his society that is subject to social policy and Unfair economic, the aim of which is to take away its property and humiliate it so that it is not able to rise again, and to instill an alien society in its midst that has become the dominant in the capabilities of life, and for this he saw the necessity of promoting society and the economy in order for the Algerians to regain their strength and thus they can claim their rights and this It is guaranteed by a cohesive and united society Harm and a strong economy built on sound foundations. In this regard, this study came to shed light on the thought of man in these two areas, which was clear from his clear positions regarding the socio-economic life of Algerians.

**Keywords**: Farhat Abbas, Algeria, Society, Economy, Occupation.

**المقدمة:**

خضعت الجزائر للسيطرة الاستعمارية سنة 1830م، ومنذ هذا التاريخ تعرض الجزائريون لسياسة استيطانية تم خلالها القضاء على الدولة الجزائرية، و تعرضت ممتلكات الجزائريين للنهب و السلب، و حوربت المقومات الشخصية الجزائرية، و ألغيت حقوق الجزائريين السياسية و المدنية. و خضع الجزائريون لأعتى القوانين الاضطهادية، و تجسد ذلك في قانون الأهالي الذي كان يهدف للقضاء على الذات الجزائرية. و تعرض الشعب الجزائري لأبشع عمليات الابادة. وهذا ما يظهر من خلال كتابي فرحات عباس محل الدراسة، باعتباره واحد من رواد الحركة الوطنية الجزائرية، وتعتبر الأدبيات المتعلقة بالحركة الوطنية مصادر هامة تساهم في كتابة التاريخ نظرا لما تحتويه من حقائق و معلومات هامة توضح واقع الجزائر الاجتماعي و الاقتصادي، كما أن أصحابها عايشوا تلك الأحداث و ساهموا فيها، لهذا فهم أقرب الى الحقيقة من غيرهم في التعريف بالوقائع و الأوضاع المختلفة، و تبين مدى وعيهم بالقضايا الاجتماعية و الاقتصادية. ومن هنا نطرح الاشكالية التالية: ما موقف فرحات عباس من السياسة الاجتماعية و الاقتصادية الفرنسية في الجزائر؟ و ما هي أهم القضايا التي شغلت الرجل خلال نضاله و كيف أراد علاجها؟

**أولا: ترجمة فرحات عباس**

ولد فرحات عباس يوم24 أوت سنة 1899م بمنطقة بوعفرون، التي تسكنها قبيلة بني عافر التابعة اداريا الى بلدية الطاهير المختلطة، والده سعيد عباس كان يشتغل في أراضي المستوطنين لمدة خمس عشرة ساعة يوميا مقابل أجر زهيد، و أمه هي عاشورة معزة بنت علي تنتمي الى عائلة فلاحية من قبيلة بني عمران.[1]

عينت السلطات الاستعمارية والده قايد في بلدية ستراسبورغ(الأمير عبد القادر حاليا)، ثم نقلته ادارة الاحتلال الى بلدية الطاهير المختلطة ثم الى منطقة بوعفرون سنة 1889، ثم رقي ال منصب اغا شرفيا لبلدية الطاهير المختلطة[2]. وقد نشأ ضمن عائلة بورجوازية ميسورة الحال[3] تلقى تعليمه الأولي في المدرسة القرآنية القريبة من مسكنه ثم أدجله والده المدرسة الفرنسية التحضيرية المختلطة بين الأهالي و الفرنسيين، ثم انتقل الى المدرسة الابتدائية بجيجل، و منها الى متوسطة فليب فيل بسكيكدة وهو في 16 من عمره، ثم واصل دراسته الثانوية في قسنطينة، سنة1921 حصل على شهادة البكالوريا[4] و بعدها أدى الخدمة العسكرية لمدة ثلاث سنوات بعنابة برتبة رقيب و عانى خلالها الظلم و التمييز العنصري و طالب بتحقيق المساواة[5] . بعدها سجل في جامعة الجزائر سنة 1927م و حصل على الدكتوراه في الصيدلية سنة 1931م[6].

بدأ حياته السياسية عندما كان طالبا وكان من مؤسسي جمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا في الجزائر حيث كان طالبا و عمل صحبة الأمير خالد، من خلال التجارب و القراءات كون نفسه بنفسه و توصل الى بعض النتائج التي أصبحت ثوابت سياسية و أصبح مناضلا سياسيا عنيدا أسس العديد من الأحزاب السياسية، خلال نضاله كان يدافع عن الجزائريين حتى التحق بصفوف الثورة 25 أفريل 1956م[7]. و باستقلال الجزائر أصبح رئيسا لأول برلمان جزائري، أعلن انسحابه من الميدان السياسي سنة 1963م، الى أن توفي سنة 1985م[8] .

---

([1]) - عزالدين معزة، **فرحات عباس و الحبيب بورقيبة**:دراسة تاريخية و فكرية مقارنة، أطروحة دكتوراه العلوم،كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة منتوري بقسنطينة،2010، ص ص 82-84.

([2]) - نفسه،ص85.

([3]) - يوسف حميطوش، **منابع الثقافة السياسية و الخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج و فرحات عباس**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم السياسية و الاعلام، جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر،2006،ص79.

([4]) - جيجك زروق، النخب في الجزائر:**مصالي الحاج و فرحات عباس دراسة تاريخية و فكرية مقارنة**،مجلة افاق فكرية،العدد الثاني،مارس2015،ص56.

([5]) - يوسف حميطوش، المرجع السابق،ص99.

([6]) - عز الدين معزة،المرجع السابق ،ص90.

([7]) - علي تابليت، **فرحات عباس رجل دولة**، منشورات ثالة، الجزائر،2009،ص5-6.

([8]) - عز الدين معزة، المرجع السابق،ص91.

**ثانيا: التعريف بمؤلفي فرحات عباس (الشاب الجزائري و ليل الاستعمار)**

**1- الشاب الجزائري:**

"من المستعمرة الى المقاطعة الشاب الجزائري" كتاب نشره فرحات عباس سنة 1931م جمع فيه المقالات التي كتبها في صحف الاقدام للأمير خالد و همزة الوصل لفكتور سبيلمان و التقدم للدكتور بلقاسم بن التهامي و قد نشره بمناسبة احتفال فرنسا بمئوية احتلالها للجزائر. و قد أعاد فرحات عباس طبع و نشر هذا الكتاب سنة 1981م و ألحق به رسالته التي أرسلها الى المارشال بيتان سنة 1914م[1] . وقد وقع فرحات عباس مقالاته خلال العشرينيات من القرن20م باسم مستعار هو كمال ابن سراج فاسم كمال نسبة الى مصطفى كمال أتاتورك و اسم ابن سراج نسبة الى شخصيتين و هما أبو عبديل اخر ملوك غرناطة الذي رحل عن أراضيه باكيا سنة 1492م، و شاطوبريون البطل الغير محظوظ الذي ضحى بحياته من أجل الشهرة و المجد[2].

يوضح هذا المؤلف فكر فرحات عباس الاجتماعي و الاقتصادي الى جانب فكره السياسي، حيث كان هدفه احداث نهضة اجتماعية و اصلاحات اقتصادية تنقذ الشعب الجزائري من الوضعية المزرية التي وضعته فيها السياسة الاستعمارية وطرح فيه مجموعة من الاشكاليات الاجتماعية و الاقتصادية و التي حاول الاجابة عنها خلال صفحات الكتاب وانطلاقا منها نحاول في هذه الدراسة توضيح مواقف فرحات عباس الاجتماعية و الاقتصادية ونذكر هذه الاشكاليات كما يلي:

- من هو المسؤول الأول عن معاناة الجزائريين و مأساتهم الاجتماعية و الاقتصادية خلال فترة الاحتلال الفرنسي؟
- كيف تعاملت السلطات الفرنسية مع هذه الأوضاع؟
- الى أي مدى ساهمت السياسة الاستيطانية في تفكيك المجتمع الجزائري و تدمير اقتصاده؟
- ماهي اليات الخروج من هذه الأوضاع المزرية التي يعيشها المجتمع الجزائري المسلم في ظل سيطرة غلاة المستوطنين على مقدرات الحياة؟

**2- ليل الاستعمار:**

و المؤلف الثاني الذي ندرس من خلاله مواقف فرحات عباس الاجتماعية و الاقتصادية هو كتاب "حرب و ثورة الجزائر ليل الاستعمار" نشر هذا الكتاب سنة 1961م بالمغرب فضح فيه الظلم

(1) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، ترجمة: أحمد منور،وزارة الثقافة،الجزائر،2007،ص8.

(2) - يوسف حميطوش، المرجع السابق،ص164.

الفرنسي للجزائر و الظلم الذي فرضته ادارة الاحتلال على الشعب الجزائري[1]. وقد وضح فيه سياسة فرنسا الاجتماعية و الاقتصادية في الجزائر طيلة الفترة الاستعمارية القائمة على الزجر و الارهاب و النهب و السلب و الابادة و التخريب و كل ما من شأنه قهر الشعب الجزائري و اذلاله و بين فيه مدى تأثير سياسة الاستعمار على المسلمين الجزائريين التي انتقها و ندد بها و استنكرها واعتبرها سببا في معاناة المسلمين الجزائريين:( لابد أن نكرر مرارا بأن الاستعمار لا يمت للمدنية و لا للقيم الأخلاقية بأي صلة انه يثير في الانسان غرائزه الدنيئة الكامنة في الصدور و يجعله لا يؤمن الا بشريعة الغاب )[2]. ويتضمن هو الاخر اشكاليات حاول الكاتب أن يبحث في أسبابها و نتائجها نذكر منها:

- هل استفاد المسلمون الجزائريون شيئا من الحضارة التي ادعت فرنسا أنها قادمة لنشرها في الجزائر؟
- ماهي الأساليب التي طبقتها السلطات الاستعمارية لقهر الشعب الجزائري؟
- كيف ساهم المستوطنون الأوربيون في تفاقم الأزمات الاجتماعية و الاقتصادية التي عانى منها الجزائريون المسلمون؟

**ثالثا: الاوضاع الاجتماعية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية**

**1- التركيبة السكانية:**

ذكر فرحات عباس التركيبة السكانية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية بحيث كان سكان الجزائر يتكونون من العنصر الأهلي المتمثل في العرب و البربر كما يبين ذلك في كتابيه و المستوطنون الفرنسيون و الأوبيون و اليهود.

**العنصر الأهلي**: ينتمي الشعب الجزائري الى العالم العربي ليس في ذلك شك أو مراء وهو لا يختلف عن الشعبين التونسي و المغربي[3] فسكان شمال افريقيا هم مغاربة أي من سلالة مزدوجة عربية بربرية و كانت تعيش بين ظهرانيها أقلية تركية[4] . ونفى ما ادعاه الاستعماريون من أنها بلد شاغر و سكانها قليلون وهذا ما يتضح في القول التالي:" استولت فرنسا سنة 1830م على بلد اهل عامر غني زرعا و

(1) - عز الدين معزة،**فرحات عباس و دوره في الحركة الوطنية و مرحلة الاستقلال1899-1985**،رسالة ماجستير،كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية،جامعة منتوري قسنطينة،2005،ص59.

(2) - فرحات عباس،**ليل الاستعمار**،تر:أبو بكر رحال، دار القصبة للنشر، الجزائر،2005،ص59.

(3) - فرحات عباس،**ليل الاستعمار**، المرجع السابق ،ص37.

(4) - نفسه،ص35.

ضرعا يذود عن حوضه سكان عديدون يحبون الحرب و لا يعرفون للفشل و للملل معنى، ان هؤلاء السكان من جنس عريق استوطنوا افريقيا منذ زمن بعيد توالت عليهم في هذه الأرض قرون و أجيال وهم أصحاب مدنية رائعة يكونون هيئة اجتماعية منظمة تتوفر فيها جميع شروط الحياة و القوة تعتز بوطنيتها كل الاعتزاز و بفضل أخلاقها و عاداتها و ديانتها كنت تنفر من الاندماج الى أي جنس ما ...دين هذا الجنس دين عزيز لا يغلب و لا يقهر ...." [1] . وقدر حمدان خوجة عدد سكان الجزائر بعشر ملايين جزائري[2] و قد قدرت المكاتب العربية[3]سنة 1852م عدد السكان بمليونين و نصف، الا أن فرحات عباس قدر عددهم بستة أو سبعة ملايين خو بين أن الأرقام التي يقدمها الفرنسيون مزيفة لأن الشعب الجزائري تعرض لعمليات ابادة جماعية اضافة الى الهجرة خرج الجزائر[4] .

و قد وصف مجتمع الهضاب العليا قبل الاحتلال بأنه منظم في قبائل[5] تحمل الخصال الحميدة لقد كانت السرقة و الخيانة و الكذب أشياء غير معروفة بينما كان التضامن و الشجاعة و روح الفروسية هي السائدة و هذه الفضائل اختفت بعد الاحتلال و هذا ما جعله يتأسف عليها[6].و نفى أن يكون المجتمع الجزائري مجموعة من القبائل المتأخرة و لا ذلك الغبار البشري الذي أصبح يتصف بها من جراء الاحتلال الفرنسي لقد كانوا قبل ذلك أهل حرب و بأس [7].

**الأوروبيون:** لقد أصرت فرنسا تبديل السكان الجزائريين بسكان أوربيين[8] فتبنت سلطات الاحتلال سياسة الاستيطان حيث عملت على تحويل الجزائر الى مستوطنة أوربية [1] و هذا ما جاء في قوله:" ان

---

([1]) - نفسه،ص38.

([2]) - حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تقديم و تعريب و تحقيق: محمد العربي الزبيري، منشوراتANEP، الجزائر، ص13.

([3]) - المكتب العربي هو هيئة صغيرة أنشأتها السلطات الفرنسية في كل المدن و القرى الجزائرية و كان يرأسها فرنسي برتبة عقيد و تضم مساعدا له و مترجما و شاوشا، و كانت عبارة عن خلية تجسس على الأهالي و ادارة الفرقة بينهم و هي محاولة لإيجاد همزة وصل بين قواته الغازية و الجزائريين فأحدث الدوق دورفيقو الحاكم العام 1833 فرعا في مكتبه سماه المكتب العربي ثم صار يطلق عليه مصلحة الشؤون العربية. أنظر: سعيد بوخاوش، الاستعمار الفرنسي و سياسة الفرنسة في الجزائر، دار تفللت، الجزائر،2013،ص113.

([4]) - فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، الصدر السابق،ص36.

([5]) - يتميز سكان مجتمع الريف الجزائري قبل الاحتلال بأنهم يشكلون الأغلبية و الوحدة الاجتماعية و الادارية و الاقتصادية كل في منطقة نفوذه و تقوم هذه الوحدة على تملكها للأرض و على رابطة الدم و تعتبر كل من الأسرة و القبيلة و الأرض و النسب الايكولوجيا التي كانت تتحكم في الريف .للمزيد أنظر: سعيد بوخاوش، المرجع السابق،ص103.

([6]) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**،المصدر السابق،ص115.

([7]) - نفسه،ص36-37.

([8]) - نفسه،ص32.

فرنسا و منذ سبعين سنة قد سلبت و طردت و طاردت العرب من أجل اعمار الجزائر بالإيطاليين و الاسبان"[2].

**اليهود:** أطلق عليهم اسم الاسرائيليون كانوا جزء من المجتمع الجزائري و لكن بعد منحهم حقوق المواطنة الفرنسية بموجب مرسوم كريميو تنكروا للجزائريين[3] بل زادوا من معاناة الأهالي[4] و بل عملوا على عرقلة تطور الأهالي[5].

**2- الابادة الجماعية و التخريب**

سجل عمليات القتل و الابادة الجماعية التي تعرض لها الشعب الجزائري من طرف العدوان الفرنسي دون رحمة أو شفقة و قدم نماذج للمجازر الرهيبة التي راح ضحيتها الاف الجزائريين كما دعم كلامه بشهادات القادة الفرنسيون الذين ارتكبوها. و هؤلاء لم يكتفوا بالقتل بل قاموا بعمليات تخريب واسعة في القرى و الدواوير و المداشر و مصادرة ممتلكاتهم كالأساور و الأقراط و سلب المواشي و حرق و تخريب الحدائق و البساتين الغناء و الأكواخ يمكننا أن نذكر هنا هذه العبارة :"كانت تعتريهم حمى النهب و القتل و التخريب"[6]. وقد كان هؤلاء السفاحين يهدفون الى نشر الرعب و الخوف في أوساط الجزائريين من خلال السبي و القتل و الذبح و قطع الرؤوس الخطف النفي و الابعاد الخنق بالدخان و الحرق القتل بالبرد و الجوع رميا بالرصاص و بحد السيف بل ان البعض يتبجح بقتله للجزائريين و يعتبر نفسه يقدم خدمة للمسيحية اذ لابد من معاقبة الجزائريين الذين يرفضون التعاون معهم أو الخضوع لهم .

لقد أبادوا قبائل بكاملها كقبيلة أولاد رياح و قبيلة العوفية و سكان الأغواط وقبيلة خريجة[7] و غيرها، و قد عبر فرحات عباس عن معاناة الجزائريين و ما قاسوه من ويلات العسكريين قائلا:" ...كانت مهارتهم

---

([1]) - نفسه،ص105.

([2])- نفسه،ص127.

([3]) - و مما زاد من ألم الجزائريين هو تنكر شريحة من أهلهم و هم اليهود الذين عاشوا معهم قرونا و أصبحوا يشكلون طبقة ثانية بعد الأوربيون بعد حصولهم على الحقوق المدنية و المواطنة الفرنسية للمزيد أنظر: ناصر الدين سعيدوني، **دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر**: الفترة الحديثة و المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1988،ص283.

([4]) - كانوا عونا للجيش الفرنسي أداة و أداة مساعدة في اخضاع السكان و التحكم في اقتصاد البلاد. للمزيد أنظر: عيسى شنتوف، **يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود**،دار المعارف، الجزائر،2000،ص33.

([5]) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**،المصدر السابق ،ص122.

([6]) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**،المصدر السابق ،ص46-47.

([7]) - نفسه ،ص ص 102-120،103.

الحربية تتلخص في احراق الحرث و النسل و الأخضر و اليابس "[1]. و قد تم تخريب العديد من المدن و القرى مثل معسكر و وهران و قسنطينة و مليانة و شرشال منطقة بني ناصر و قرية هيمدة و غيرها الكثير[2]. ثم ان فرحات عباس تساءل قائلا :"لماذا يجعلون من اغتصاب الجزائر و ابادة الجزائريين عملا تمدنيا ؟ و لفائدة من وقع هذا التمدن؟ و ما هي هذه المدنية التي يتشدقون بها؟" ثم عبر عن معاناة شعبه التي يتألم بشدة كلما تذكرها :"لقد رأى شعبنا عدوا لدودا يستعمل تكتيك الأرض المحروقة، وسياسة النهب و السلب و القتل. رأى مدنه و قراه طعم الحريق، رأى النساء مسبيات، رأى السيوف بين الأعناق و الغزاة ينهبون الأراضي، رأى حربا طاحنة رضخت فيها أرواح الأبطال، و شابت لهولها رؤوس الأطفال، فما تناسى سانت و مداخنه، الا ليبتلي ببليسي و فضائعه، ما تناسى كافنياك و مجازره الا ليبتلي بمونتنياك و جرائمه، و رغم هذا بقي شامخ الرأس."[3]

### 3- الاستيطان الأوروبي

حسب ما ذكر فرحات عباس أن السلطات الاستعمارية عملت على تشجيع الهجرة الأوروبية الى الجزائر، و من بلدان أوروبية متعددة، فنتج عن ذلك أن جاء الى الجزائر مغامرين و تجار لا ذمة لهم و لا دين و مضاربين أثروا بسرعة و بطرق غامضة و لم تدخل رؤوس الأموال الى الجزائر و انما كانت مليارات الضرائب التي تجنى من الأهالي و أراضي الأهالي و اليد العاملة من الأهالي و مساعدات فرنسا هي وحدها التي سمحت لهؤلاء القادمين الجدد بالاستقرار ونتج عن ذلك ظهور مجتمع أوروبي غني و مجتمع أهلي فقير[4].و هذا ما كانت تسعى اليه سلطات الاحتلال فبيجو رأى الجماهير الجزائرية القوية و المتفوقة على الجماهير الأوروبية و للقضاء عليه لابد من غرس سكان أشد بطشا و أكثر نشاطا في و سطه[5]. وقد عبر فرحات عباس عن أهداف الاستيطان بقوله:" ان سياسة تعمير الجزائر بالأوروبيين كانت ترمي بالضبط الى استعمال جميع الوسائل لتجعل من هذا الالحاق ادماجا شرعيا و ذلك بنزع الأراضي من أيدي الجزائريين و اخضاعهم لقوانين تجعل منهم أقلية يغمرها الأوروبيون." [6]

---

([1]) - اتضحت استراتجية الاحتلال و مخططه التنفيذي سنة 1832 من خلال ما قاله الماريشال جيرار وزير الحرب الفرنسي :"ينبغي أن نقبل بأن تهجير السكان الى نواحي بعيدة و حتى ابادتهم و تخريب و حرق و تدمير زراعتهم قد تكون الوسائل الوحيدة لترسيخ سيطرتنا"نقلا عن محمد العربي ولد خليفة،**الاحتلال الاستيطاني للجزائر** –مفاربة للتاريخ الاجتماعية و الثقافي، منشورات ثالة،الجزائر،2008،ص55.

([2]) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**،المصدر السابق ،ص48-52.

([3]) - فرحات عباس، **ليل الاستعمار**،المصدر السابق،ص52-53.

([4]) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، المصدر السابق، ص105.

([5]) - فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، المصدر السابق ،ص36.

([6]) - نفسه،ص43.

اذ منذ الاحتلال الجزائر كان بها سلطتان و تصوران استعماريان أي السلطة العسكرية و السلطة المدنية تنزع الأولى الى تحديد اقامة الأوروبيين و نشاطهم و تريد الحفاظ على الوضع الاجتماعي الموجود و تكتفي بإدارة شؤون الأهالي. أما الثانية فترى أنه من الضروري تحطيم النظام الشرقي و فرض الاقتصاد الأوروبي و تنظيم استغلال البلد لفائدة التجمعات الأوروبية[1]. أما الأهالي فان الرعب الذي سينشره الجيش الفرنسي سيرغمهم على الخضوع كما سيرغمهم افقارهم و نزع ممتلكاتهم على الارتزاق عند الأوروبيين كخادمين عمال و الا فليذهبوا شر مذر أي طردهم الى الصحاري و الفيافي.[2]

ثم ان فرحات عباس قدم احصاءات دقيقة عن أعداد المستوطنين الأوربيين ففي سنة 1832 بلغ عددهم 5000نسمة و لكن ما بين سنتي 1840-1845تأسست مراكز الاستعمار في الساحل و المتيجة ووهران و عنابة و سكيكدة و في 1846 بلغ عدد الأوروبيين 110ألف.بينما بلغ عددهم سنة 1876م 344ألف[3].ثم جاء مرسوم كريميو الذي منح الجنسية الفرنسية لليهود في أكتوبر 1870 فأصبحوا يتمتعون بجميع الحقوق و يتبوؤون مناصب هامة و أدخلوا في حضيرة الأوروبيين و بالتالي بقي الأهلي وحدهم يرزحون تحت ثقل الغزو و يوفرون اليد العاملة الرخيصة للأوروبيين. و ما ساعد على تمتين و توحيد المجتمع الأوروبي الناشئ هو قانون 26 جوان 1889 الذي سمح لهم بالتجنس الجماعي و تشكلت في المجتمع طبقة ذات حظوة و هيمنة[4].

### 4- الأوضاع المعيشية

حسب الكاتب فانه نتيجة عملية الاستيطان ظهر في الجزائر مجتمعان مخلفان كل الاختلاف مجتمع الأهالي الذي يخضع لسياسة استيطانية جائرة و مجتمع المستوطنين الأوروبي ن ومن لحق بركابهم و هم اليهود الذين يعتبرون السادة. و قد عبر فرحات عباس عن ذلك بقوله: "ان وضعية الأوروبيين لوضعية ممتازة و قوية الجانب، ومن شأنها أن تنسي هؤلاء الدخلاء أصلهم الوضيع و ماضيهم التعيس، وانقلبت نفسية كل واحد منهم، و أصبح يشعر شعور الغازي، واقتنعوا بأن الله قد حباهم بجميع الفضائل و المناقب، ووسم الجزائري بجميع الرذائل و المثالب."[5]

كان الأهالي يعانون من ظلم و طغيان غلاة المستوطنين الذين كانوا سببا في بؤسهم و شقائهم، وظلم العسكريين الذين يرتكبون الجرائم في حقهم، ان الاحتلال عمل كل شيء من أجل المستوطنين و لكنه بالمقابل لم يفعل شيئا للأهلي المسلم بل زاد من معاناته، و هنا ندد بشدة بالسياسة الاستعمارية

(1) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، المصدر السابق،ص147.

(2) - فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، المصدر السابق ،ص47.

(3) - نفسه،ص87-58.

(4) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، المصدر السابق، ص148.

(5) - فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، المصدر السابق ص59.

التي اعتبرها المسؤولة عن ايجاد مستعمرة أوروبية مرفهة و في المقابل هناك جزائر مسلمة جاهلة و فقيرة و مصابة بفقر الدم[1]، نتيجة قوانين استثنائية[2] جائرة ترمي الى حماية و تعزيز امتيازات و عنصرية المستوطنين حيث كانوا مدعومين من طرف الجيش الفرنسي. وأصبح الأوروبيون أصحاب الحل و العقد قابضين على زمام الحكم بيد من حديد و شيدوا نظام اجتماعي جديد و صارت لهم السيادة، و استأثروا بجميع الحقوق و قد وصف الوضع الذي أل اليه الجزائريون نتيجة الظلم و القهر المسلطان عليهما بقوله:...ان المصباح البترولي الذي يملأ برائحته الكريهة الكوخ المسقف بالأغصان و القش اليابس و هناك الثقب المملوءة بالطين و العفن الذي يشرب منه أهالي الدوار و هناك رجال تقرض لحمهم الجروح العفنة و هناك الأسرة التي تقتات على العشب و هناك ضربة السوط القاتلة و هناك النهر الذي لا جسر له حيث يغرق فيه الناس."[3] و يبدي حزنه و أسفه على اخوانه الجزائريين الذين يعانون من البؤس :"كانت هناك أكواخ أخرى يأوي اليها رجال حفاة الأقدام بؤساء يعشش القمل في ثيابهم ...ان الحياة الحيوانية هي ما يثيرني و يؤلمني..."[4]

ان الظروف المزرية التي عاشها الجزائريون المسلمون فتكت بهم فاجتاحت البلاد مجاعات[5]كثيرة تضرر منها الأهالي فمجاعة 1867 وحدها قضت على أكثر من 500 ألف من الجزائريين فجيش الاحتلال الفرنسي حينما أحرق الحرث و النسل وأتى على الحبوب المخزونة في المطامير و دمر الأجنة و البساتين و جعل من الفلاحين عرضة القحط و فريسة الجفاف لمدة عشرات السنين[6]. و حوالي 1896 كان عدد الأوروبيين الموزعين على القرى و المدن قد بلغ 536 ألف نسمة و قد استولوا على السهول و نواحي التل حيث الأمطار غزيرة و الأراضي خصبة. و من جهة أخرى ستة ملايين من الجزائريين المسلمين لم يبقى في أيديهم الا أراضي جدباء و بلغ الثلثان من هؤلاء السكان من الجوع و

(1) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، المصدر السابق ص107

(2)قانون الأهالي أصدرته فرنسا بعد ثورة المقراني و هدفه ارهاب الشعب الجزائري و تفقيره و تجريده من أراضيه و ممتلكاته حيث تقدر مساحة الأراضي الاحتلال بعد ثورة المقراني مباشرة ب 453000 هكتار للمزيد أنظر: كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الاسلامية**، تر: نيه أمين فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملايين، لبنان، 1968،ص629.

(3) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، المصدر السابق ،ص108.

(4) - نفسه، ص98.

(5) - عاشت الجزائر أزمات حادة تواصلت من 1866الى1870 و لحقت الأضرار بالخصوص السكان الأصليين حيث شهدت فترات جفاف متعددة مما أثر سلبا على المحاصيل الزراعية اضافة الى انتشار الجراد مما أدى الى ارتفاع أسعار القمح و الشعير زادتها مجاعة 1867و =كثرت الوفيات و بسبب سوء التغذية انتشرت الأوبئة مثل الكوليرا 1866-1867 ثم الطاعون و الحمى 1867و فتكت هذه الأمراض بالجزائريين أكثر من الأوربيين و قد انخفض عدد سكان الجزائر من جراء أزمة 1866-1870. أنظر: أندري بريان و اخرون، **الجزائر بين الماضي و الحاضر**، تر:اسطنبولي رابح و منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1884،ص ص 340-342.

(6) - فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، المصدر السابق ،ص62..

البؤس و الفاقة مبلغها لا يجدون عملا يقتاتون به و لا ما يسدون به رمقهم و جردت القبائل الغنية و القوية من خيراتها[1] و لم يبقى في وسعهم الا أن يكونوا خداما لدى ناهبيهم[2]

و ازدادت معاناة الأهالي مع انطلاق الحرب العالمية الأولى التي كانت فرنسا طرفا فيها فزجت بالجزائريين في الحرب و دون أن يحصلوا على أية حقوق بل كانوا يتعرضون للعنصرية حتي وهمم يموتون لصالح فرنسا و من أجلها وقدر عدد الأموات منهم ب 9160 و لم يكنوا يعرفون حتى لماذا ماتوا بع أن انتزعوا من عائلاتهم و أكواخهم بل دفنوا في أماكن يجهلها أهاليهم[3]. و كان من نتائج تجنيد الجزائريين في الحرب أن أصبح لهم نظرة مختلفة لفرنسا حيث عادوا متحمسين للعودة الى هناك للعمل حيث لم يكن في ذهن الخماس حينها الا فكرة واحدة و هي الهروب من الريف و مغادرة البلد فغادر 150000 عامل عبروا المتوسط و كانوا الرابط الذي جعل عمالا اخرين يغادرون و أصبحوا يشكلون اليد العاملة في الميتروبول هم في حاجة ماسة اليها[4]. و اعتبر غلاة المستوطنين هذه الهجرة خطيرة على فرنسا بدعوى أنهم عنصر شغب و ينقلون الأمراض الخطيرة و زاد في الأمر ادعاءات الصحف التي كانت اللسان الناطق باسم المستوطنين و هنا تساءل فرحات عباس عن لماذا يفتح هؤلاء مصانعهم و مزارعهم أمام الأهالي في الجزائر و يمنعونهم من الهجرة للعمل في فرنسا المركز[5]؟ وهذا يرجع للحفاظ على يد عاملة رخيصة و دائمة خدمة لمصالحهم[6]

و في الجانب الصحي بين أن مرض السل لم يكن موجودا في الجزائر بل انتشر بالخصوص سنتي 1915و 1916بعودة الجزائريين الذين كانوا يعملون في المصانع خلال الحرب لإنتاج الذخيرة و السلاح و لا يأكلون سوى أكلا قليلا و رديئا و لم يستطع الفلاحون تحمل الجهد فعادوا مصابين بهذا المرض و

(1) - لقد تم تحطيم الفلاحون الجزائريون بسبب انتزاع ملكياتهم الزراعية و أرغموا على بيع ما بقي منها نتيجة ارهاقهم بالضرائب و ربا اليهود الفاحش فانخفضت ملكياتهم الزراعية سنة1883الى8.188.410 هكتار و عام 1903الى 5.791.255هكتار كما تم تحطيم العائلات الجزائرية الكبرى التي كنت تمثل القيادات للمجتمع الجزائري . يحي بوعزيز،**سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية**، دار البصائر، الجزائر،2009،ص45.

(2) - فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، المصدر السابق ،ص68.

(3) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، المصدر السابق، ص42-43.

(4) - نفسه،ص53.

(5) - دفع البؤس و الفقر الكثير من الجزائريين الى الهجرة لفرنسا بحثا عن العمل و القوت منذ بداية القرن20م و كنت أعدادهم تتزايد من سنة الى أخرى رغم ضغوط المستوطنين من أجل عرقلة هذه الهجرة بهدف ابقاء المسلمين الجزائريين في البلاد لاستغلالهم في خدمة الأرض على العموم. رابح لونيسي، **التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف1920-1954**،كوكب العلوم،الجزائر،2009.ص16.

(6) - نفسه،ص54-55.

انتقل بعدها الى الجزائر دون أن تقوم الادارة الفرنسية بفعل أي شيء لهم و في أعالي القبائل أبيدت أسرا بأكمله يصل عددها الى 16و17 فردا قد أبيدت بالسل [1] .

و يمكن هنا أن نشير الى قول فرحات عباس للتعبير عن الوضعية المعيشية للمجتمع الأهلي و المجتمع الأوروبي:"...وهكذا تأسست بلا خجل و لا ورع الجزائر النافعة، و هي جزائر الأوروبيين، خلافا للجزائر العربية التي تطاولت عليها أيدي الخراب و الاهمال و المجاعة و الاملاق . ان نمو المجتمع الاستعماري يخضع لقوانين معروفة انه لمجتمع منكمش على نفسه متطفل على غيره ...ان أبناء المجتمع الجزائري باستثناء كمشة من المتعاونين المارقين يعيشون كالأيتام في مأدبة اللئام ...يكتفون لسد رمقهم بفضلات القوت التي فلتت من أيدي الطغيان و الجبروت فيأتمنون بها من غوائل المجاعة و مخالب الموت.."[2] .ونتج عن الوضع المعيشي المزري أن انتشرت في أوساط المجتمع الأهلي افات اجتماعية فتاكة أدت الى افساده مثل تعاطي المشروبات الروحية (الشمبانيا و الاسبنث) و الدعارة و المراقص و انغماس بعض المجموعات في الضلالات و هذا ما قاله فرحات عباس:"...أما الحانات فانك تجدها في كل حي و طريق ان بيع الابسنت بقي حرا الى سنة 1914 ثم حرم بيعها سنة 1915 و لكنها عوضت بمشروب الماحيا التي أبيح بيعها ابتداء من سنة 1920 ...ان الحكومة الاستعمارية تتساهل في ترخيص حانة أكثر مما تتساهل في فتح مدرسة ..."[3]

### 5- العلاقات بين السكان

حسب فرحات عباس تتكون الجزائر من مجتمعين مجتمع الأهالي الجزائريين و مجتمع المستوطنين الأوروبيين ومن لحق بهم من اليهود بفضل مرسوم كريميو، و عموما تميزت نظرة الأوروبي للأهالي بأنها نظرة احتقار و ازدراء و كره و استعلاء بسبب العنصرية التي سيطرت على عقولهم حتى أصبحوا لا يرون الأهلي و لا يدركونه البتة حتى أن هؤلاء المستوطنون أصبحوا جلادين و سفاكين[4]أكثر من الجنرالات حيث كانوا يدعون الى الفتك بالمسلمين[5] و كمثال على عدوانية هؤلاء أن أحد المستوطنين و هو اسباني قام بقتل أهلي كان يعمل لديه من أجل25 فرنكا كان مدينا له بها و بع

(1) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، المصدر السابق ،ص57.

(2) - فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، المصدر السابق ،ص71-72.

(3) - نفسه،ص71.

(4) - لذلك لم يجد المستوطنون مكانا محترما لهم بين الجزائريين المسلمين و نشأ عن طريقة تعاملهم مع الانسان الجزائري قيم متناقضة قيم أساسها الحديد و النار و السلب و النهب تستهدف المجتمع الجزائري المسلم و هي قيم منافية للإنسانية و العقل و المنطق و قيم الانسان الجزائري المتميزة بالحفاظ على شخصيته و كرامته و دفاعه عن دينه ووطنه ورفضه لكل أساليب النهب. للمزيد أنظر: مصطفى الأشرف، **الجزائر الأمة و المجتمع** ، تر: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983،ص ص287-288.

(5) - فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، المصدر السابق ،ص60-61.

اعتراف هذا المستوطن بجريمته تم تبرئته وهذا ما شجعهم على الاساءة للمسلمين كلما سنحت الفرصة لهم و بالتالي تحول هؤلاء الى ذئاب مفترسة[1] وقد عبر عن العلاقة بين المستوطنين و الأهالي قائلا: "ان هناك حاجز كثيف أصبح بين المستعمر و المستعمر بسبب استعمال القوة و أصبح الحوار بينهما حوار طرشان و أصبحت مغامرة الذئب و الحمل للأسف هي مقامرة انسانية"[2] .

ثم تطرق الى المضايقات التي يتعرض لها الأهلي على الأرض التي ولد فيها و في الشارع و في المقاهي و في أدنى مظهر من مظاهر الحياة العادية فالحلاق يغلق بابه في وجهه و الفندق يرفض أن يؤجر له غرفة بسبب التمييز العنصري تجاه المسلمين.و ذكر الأوصاف و النعوت[3] التي يطلقها هؤلاء على الجزائريين منها "بيكو" و "راطون" و وصف الجزائريون باللصوص و المعربدين و السفلة و الكسالى[4] لقد تعرض فرحات عباس للمضايقات و السخرية من طرف المستوطنين و كم من مرة سمع الأهلي الذي تكون وضعيته الاجتماعية قريبة من وضعية الأوروبي هذه العبارة :"انني لا أتحدث عنك أنت بالطبع "[5] و طيلة الفترة الاحتلال وقف هؤلاء ضد أي اصلاح تقره السلطات الفرنسية بسبب تعنتهم و أنانيتهم و توجهاتهم الخطيرة كانوا السبب في تخلف الجزائريين و بؤسهم و الامهم و في كل مرة كان الأهالي يرتطمون بصخرة جلمود الرأي العام الفرنسي و بمعاداة المعمرين و مهاجمة جمعية أساطين الاستعمار فالأوروبي يكره العربي و يحقد عليه و يزدريه و لم يكن لهم تجاه الأهالي الا سياسة العنف و الضغط[6] فمثلا وقفوا ضد اصلاحات فبراير 1919 واعتبروا الأهالي متوحشين و متعصبين و برابرة[7] و حاولوا دائما قدر المستطاع أن يمنعوا فرنسا من حشر نفسها في شؤونهم لأنهم يتهمونها بالدفاع عن حقوق العرب و مساندتهم على حساب مصالحهم[8] .

أما عن علاقة الجزائريين باليهود فالظاهر أنها كانت عادية ال غاية صدور مرسوم كريميو 1870 الذي منح اليهود حقوق المواطنة الفرنسية ويرى فرحات عباس أن فرنسا ما منحتهم حقوق الفرنسيين

(1) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، المصدر السابق، ص122.

(2) - فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، المصدر السابق ،ص17.

(3) -ان الممارسات اليومية للإنسان الأوروبي مع الفرد الجزائري احتقرت الجزائريين ووصفهم بأوصاف تحط من قيمتهم و دينهم و عاداتهم و تقاليدهم و أعمالهم فلم ينجوا من ذلك لا الأمي و لا الموالي للاستعمار حيث نعتوا بأسوأ النعوت كالماتشو و الراطون و صال أراب و= =طرفاي أراب أي أن كل الأعمال السيئة و الرديئة هي من فعل العرب. عمار هلال، **أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر1830-1962**، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر،1995،ص111.

(4) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، المصدر السابق ،ص121.

(5) - فرحات عباس، الشاب الجزائري، المصدر السابق و،ص128.

(6) - فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، المصدر السابق ،ص64-65.

(7) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، المصدر السابق، ص55.

(8)- فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، المصدر السابق ،ص66.

الا لتخرجهم من حظيرة الشعب الجزائري وتزيد هذا الأخير عزلة بعد عزلة[1] و قد منحهم ذلك وضعية متميزة عن الأهالي بل انهم عملوا على عرقلة و منع تطور الأهالي[2] فالقوانين لم تكن في صالح الجزائريين مقارنة بالأوروبيين و اليهود لقد ظل المسلم خاضعا للسناتوس كونسلت[3]1865الذي جعل منه مجرد شخص خاضع[4] .

أما علاقة المستوطنين الأوروبيين[5]و اليهود فقد عبر عنها فرحات عباس قائلا: "ان الفرنسيين و الإيطاليين و الاسبان و اليهود[6]الذين يكونون هذا المجتمع يكرهون بعضهم البعض و لكنهم تجمعهم فكرة واحدة وهي العنصرية و كره العربي كما لهم مصالح مشتركة في نطاق النظام الاستعماري الذي يدافعون عنه دفاع المستميت فتجمعهم اذن مقتضيات عديدة و حاجيات متظافرة و متواطئة و ينجم عن هذا التحالف الغريب أنه لا يوجد عندهم نزاع الطبقات فتجعل منها بناء مرصوصا .." وأضاف "ان أصحاب الكنيسة و الماسونيين متفوقون على جوهر المسألة و هي الدفاع عن الامتيازات الاستعمارية و استغلال العربي"[7] .

**ثانيا: الأوضاع الاقتصادية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية**

**1- الزراعة و تربية الماشية**

(1) - فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، المصدر السابق ،ص58.

(2) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، المصدر السابق ،ص122.

(3) - استهدف تكوين الملكية الفردية و تشكيل الدوار في مكان القبيلة و بهذا أزيلت العقبات و العراقيل المتعلقة ببيع و شراء العقار بشكل يسمح بتوسع عملية الاستيطان و أدخلت اليات النشاط الاقتصاد الرأسمالي و بعد خلق الملكية الفردية و انفصال الفرد عن القبيلة اقتضى الأمر اعادة تجميع عدد من الأفراد المتحررين من الروابط التقليدية في اطار ما يسمى بالدوار و الغرض منه تفتيت القبائل بشكل يسهل عملية بيع و شراء الأراضي و اقامة المستوطنات و تسهيل حصول الأوروبيين على أراضي جد خصبة، يوسف حميطوش، المرجع السابق،ص5-6.

(4) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، المصدر السابق ،ص156.

(5) - كان الفرنسيون ينظرون الى الأوربيين الاخرين بشيء من التعالي و الاحتقار و بحكم وضعهم كأقليات ذات امتيازات توحد الأوروبيون بالرغم من الخلافات السياسية و الاجتماعية.محمد حربي، **الثورة الجزائرية سنوات المخاض**، تر:نجيب عياد و صالح المثلوثي، موفم للنشر،الجزائر،2012،ص86.

(6) - كان المستوطنون الفرنسيون بعد قرار كريميو 1871 يعتبرون اليهود من جنس منحط يتحملونهم في التجارة و الصناعة و ينظرون اليهم بدون أي سرور في المهن الحرة و يرمقونهم بشيء من الاشمئزاز و المهانة في ميدان التعليم و يرفضونهم تماما في السياسة. شارل أندري جوليان،**افريقيا الشمالية تسير**، تر: المنجي سليم و اخرون،الدار التونسية للنشر، تونس،1976،ص45.

(7) - فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، المصدر السابق ،ص72-73.

قبل الاحتلال[1]كانت ثروات الجزائر متعددة كانت تنتج بغزارة جميع أنواع الفواكه و الزيتون و القمح و الشعير وكانت تصدر من ذلك ما تصدره و تبقي و تدخر في مطاميرها ما يكفي مؤونتها و يجعلها في مأمن من غوائل المجاعة طيلة سنوات القحط ، ان مراعي البدو و الغابات كانت شاسعة مترامية الأطراف و كانت تربية الخيل و البقر و الغنم واسعة النطاق و كان الفلاحون أغنياء و أقوياء[2] .لقد كانت الأرياف الجزائرية عامرة بالفلاحين و الرعاة و كانوا كلهم ملاك أرض و أسر كثيرة العدد توفر الخماسين لقد كانت المراعي و السهول الشاسعة و الخصبة تسمح لهؤلاء الفلاحين بأن يعيشوا على القمح و الحليب و يلبسوا العديد من الألبسة الصوفية لقد غير الغزو الفرنسي كل شيء حيث تم الاستيلاء على سهول الساحل و طرد مربو الماشية الى الهضاب العليا و بهذا ضاعف الغزو من عدد الخماسين الى أبعد حد.و قبل الاحتلال كان ثمن الخروف يساوي 20ألف سوردي في الأسواق أما القمح فيقايض به مقابل الفواكه و يبقى منه الفائض ليباع لفرنسا أو انجلترا[3].

كما كانت القرى تظم حدائق و بساتين غناء تنتج مختلف الخضر و الفواكه كأشجار البرتقال و أشجار المشمش و النخيل و بعد الاحتلال تم حرقها و تخريبها انتقاما للانتقام من الجزائريين[4] و قد صاحب ذلك عمليات مصادرة واسعة حيث صودرت ممتلكات الأحباس و حجزت ممتلكات السكان بل أرغم أرباب الأملاك الذين انتزعت منهم ممتلكاتهم أن ينفقوا مصاريف هدمها و حتى مصاريف هدم المساجد[5]. ولم يراعي المستعمرون في ذلك عرافا و لاذمة حيث انتزعوا الممتلكات الخاصة و الممتلكات العرشية و تم سن جملة من القوانين لنهب الأراضي مثل القانون المتعلق بعقد الملكية مرسوم أكتوبر1844 و قانون التجمع- مرسوم 1851- و قانون التحقيق في الملكية – مرسوم 1853-كان هدفها انتشال أكثر من ثلاث ملايين هكتار من الأراضي الخصبة من يد الفلاحين العرب و كانت هذه الأراضي توزع اما على المستوطنين الصغار أو على الشركات كامتيازات مثلا حصلت الشركة السويسرية سنة 1853: 25000 هكتار و في 1871 أخذت الشركة الجزائرية 2639000 هكتار. أما الغابات التي كانت

(1) - لم تكن الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي تعيش و ضعا اقتصاديا متوحشا مترديا بل بالعكس من ذلك فإنها كانت تعيش الانسجام التام بين العناصر الروحية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية مكنتها من تحقيق حاجياتها و مواجهة الطوارئ. أنظر: لوسانت فلنري، **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر1790-1830**، تر: حمدي الساحلي، سراس للنشر، تونس، 1994،ص118.

(2) - فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، المصدر السابق ،ص36.

(3) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، المصدر السابق ،ص51.

(4) - فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، المصدر السابق ،ص49-51.

(5) - نفسه،ص55.

مراعي خصبة و معدنا للصناعة المحلية فقد أعطيت أخصبها للشركات و ما تبقى من الغابات حجزته الدولة و من جراء القوانين المجحفة لم يبقى للعرب الا الأراضي القحطاء و رمال الصحاري الجدباء[1].

ونتج عن تشجيع المستوطنين و منحهم الامتيازات أن ظهرت فلاحة جديدة و ازدهرت زراعة الكروم فسهول متيجة و وهران و عنابة و سكيكدة كانت مزارع بمساحة 600هكتار و كذلك في عمالة وهران و في قسنطينة كان 50 مستوطنا يملكون200ألف هكتار من أجود أراضي القمح. ان هؤلاء المستوطنين من كبار الملاك يشكلون اقطاعية زراعية[2] حيث تخضع الهيكلة الكاملة للبلد لمصالحهم بينما كان الفلاح الجزائري يفقد أراضيه باستمرار مما أدخله في حالة تقهقر بسبب الاعاقة التي يعاني منها على جميع الأصعدة فعتاده بدائي و طرق عمله تقليدية و أطفال يقتلهم الجوع[3] . بينما كانت الملكية الأوروبية الى مزارع كبيرة حيث تمتد مزارع الحبوب[4]و البقول على مساحات تتراوح ما بين 500 و 1500 هكتار و يمكن أن تبلغ محاصيل المستوطن الواحد سنويا 15 ألف قنطار من القمح كما نجد أيضا المزارع النموذجية ذات مساحات تتراوح ما بين 800 و 1200 هكتار التي يمكن أن يصل انتاجها الى 30 ألف قنطار من القمح سنويا بفضل التقنية الحديثة و تشبه مزارع الكروم[5]

و قد تألم فرحات عباس من معاناة الفلاح الجزائري لأن البؤس الذي يعيش فيه الفلاح لم يخطر على بال أحد انه بؤس كبير و بلا حدود لدرجة انعدام الفرق بين الفلاح و البهيمة :" ها أنت يا أخي شارد الذهن محموما و مريضا انها تمطر انها تثلج و أنت بردان و جوعان تغطي قندورتك الوحيدة جسمك الذي نهشته الجروح المقيحة و لم تعد قادرا حتى على التألم انني أتألم من أجلك....يا الهي من سيشفق على البؤس العريض لفقراء بلدي من ذا يود معلجته."[6]

---

([1]) - نفسه،ص56-75.

([2]) - ما ساعدهم على ذلك هو الأموال الضخمة التي كانوا يجنونها من الانتاج الزراعي و هذا بفضل امتلاكهم لأخصب الأراضي الزراعية الى جانب المساعدات المادية و التقنية التي كانت تقدمها لهم الحكومة أما الجزائريون فقد طردوا الى المناطق الفقيرة محافظين على الاقتصاد المعيشي ما قبل الرأسمالي و قد تقهقر انتاجهم الفلاحي كثيرا حيث لم يعرفوا نموا في الانتاج فقد كان انتاجهم للحبوب بين عامي 1901و1910 يقدر ب19.6 مليون قنطار و هبط الى 16 مليون قنطار بين عامي 1921و1930 و الى 14 مليون قنطار بين عامي 1941 و 1948. أنظر: شارل روبير أجرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، تر: عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1982،ص129-130.

([3]) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، المصدر السابق ،ص153،150.

([4]) - مهما تكن أهمية زراعة الحبوب قبيل الحرب العالمية الأولى فإنها لا تشكل مع ذلك الثروة الأساسية للمزارعين الأوربيين اذ صارت الأراضي الصالحة لزراعة الحبوب تأتي في الدرجة من حيث القيمة بعد الأراضي المغروسة كروما فلقد أزاحت زراعة الكروم زراعة القمح لتحل محله. شارل روبير أجيرون، المرجع السابق،170.

([5]) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، المصدر السابق ،ص149.

([6]) - نفسه،ص51.

**2- الصناعة**

يذكر فرحات عباس أن الصناعة كانت مزدهرة في المدن قبل الاحتلال حيث كانت زرابي تلمسان و قرقور و جبل لعمور مشهورة و أما النحاس و الفضة و الذهب فكانت المعدن الأساسية للصناعة التقليدية[1]. وقد نتج عن الاحتلال ظهور نمط اجتماعي جديد لم يعرف من قبل في العالم الاسلامي و هو نمط البروليتاريا[2]، لقد غير الغزو كل شيء و أولها ربط الجزائر بأوروبا الذي رفع تكلفة المعيشة فأصبحت الحرف الصغيرة غير كافية للإعالة الحرفي و أسرته و أهمل شأنه. و بعد عودة اللأهالي المجندين و أرادوا بناء منزلهم فلم يعرفوا كيف يفعلوا ذلك أمام الغزاة بطرقهم الحديثة و بعد هذا جاء العامل الأوروبي النشيط و صاحب الخبرة و المؤهل تأهيلا يدويا عاليا الذي قدم من كل حدب و صوب الذي حصل على التشجيع و ظهر نوع جديد من الكفاح الاجتماعي و فيه ظهر الأهلي دون المستوى الأوروبي[3]و كلفه وجود هؤلاء الأوروبيين مبالغ باهظة دون أن يمكنه ذلك لعدم امتلاكه أدادا اجتماعيا جديدا من زيادة دخله و في بداية القرن ظل يحصل على فرنك واحد أو فرنك و نصف في اليوم و لم تكن أيام عمله لتكسوه أو تعيله[4].ومن 1910 الى سنة 1920 كنت تبلغ هذه الأجرة بين 4 فرنكات و8 فرنكات ومن 1935 الى 1942 كانت تتراوح بين 8 الى 12 فرنكا و هذا العامل الجزائري الذي يتقاضى هذه الأجور التافهة هو الذي قلب الجزائر ظهرا على لبطن و أسبغ على المستوطن ثرواته و نعمه[5]

كما بين أن الأهلي يحب أرضه و هو يهاجر مرغما طرده الجوع و البؤس و الفوضى الاقتصادية و لهذا دعا الى تنظيم العمل و حماية الفلاح لأنه اذا كان عمله منظما و كان محميا سيبقى في الجزائر و قد عبر عن ذلك قائلا: "ألا يحق للعامل الجزائري و قد أرهقته الضرائب و نافسته في عقر داره يد عاملة قدمت من مختلف أصقاع أوروبا و ترك لحاله بلا تعليم و لا قوانين اجتماعية ألا يحق له أن

(1) - فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، المصدر السابق ،ص37.

(2) - لقد تسببت سيطرة المستوطنين الأوروبيين على البلاد و خيراتها في اضعاف أصحاب البلاد الشرعيين و انتشار الفقر بينهم و أدى ذلك الى انهيار الحرف و الصناعات المحلية و تحول أصحابها الى عمال بسطاء و عاطلين مزمنين خاصة بعد أن انتشرت الوسائل التقنية و تسارع المعمرون في استعمالها و اضطر العمال الأهالي الى الهجرة الى المدن. للمزيد أنظر: يحي بوعزيز، المرجع السابق،ص66.

(3) - كانت ثروات الجزائر مرتبطة بفرنسا فلم يكن عدد العمال مرتفعا و لم يتجاوز 5%من عدد الأوروبيين و الأجانب و اليهود و كان الأهالي يمارسون أعمالا يدوية بسيطة و غير مختصين لأن فرنسا و المحتلون لا يرغبون في تكوين عمال من الأهالي ذوي تأهيل عالي لأنهم يريدون أن ترتبط الغالبية العظمى من الأهالي تشتغل في الميدان الفلاحي الذي يرتبط بالميدان الصناعي و الزراعة التجارية. أندري نوشي، المرجع السابق،ص419-420.

(4) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، المصدر السابق ،ص51.

(5) - فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، المصدر السابق ،ص70.

يهاجر بدوره لتفادي البؤس و رواتب الجوع و البؤس."[1] لقد كان الأهالي يرزحون تحت ثقل الغزو و يوفرون اليد العاملة الرخيصة التي أدت الى الرخاء للأوروبيين[2] و بفضل الامتيازات التي منحت لهم خلقوا نظاما اقتصاديا استعماريا محضا للدفاع عن مصالحهم و مصالح أصحاب الصنائع و المعامل الفرنسية لا غير[3]

**3- التجارة**

ضاعف المستوطنون من انتاجهم ومن قدراتهم التبادلية[4]بواسطة مصالحهم العمومية[5]و البنوك و المرافئ ذات النشاط الهائل و بواسطة الثلاثين ألف كيلومتر من الطرق المسفلتة و بواسطة الخمسة الاف كيلومتر من السكك الحديدية و بواسطة أدواتها الحديثة و بواسطة فسفاطها و مناجم الحديد فيها و بواسطة تنوع مزروعاتها و بواسطة غاباتها و فلينها و بواسطة تربية المواشي فالغرفة التجارية لمرسيليا فان الواردات من الجزائر الى مرسيليا قد بلغت سنة 1822 ستة ملايين و خمسمائة ألف فرنك أما المبادلات التجارية خلال القرن العشرين فإنها تبلغ ما بين ست و ثماني مليارات في العام و التحولات الاقتصادية الكبرى ازدهرت في الأطلس التلي و في السهول التي تحيط به حيث شهدت القرى التي أنشئت به أوج الرخاء فزراعة الكروم تشكل قاعدة ثروة الجزائر فهي تغطي 230 ألف هكتار و تنتج سنويا 13 مليون هكتولتر من الخمور[6]

**4- الضرائب**

فرض على الأهالي أن يدفعوا ضرائب باهظة أرهقت كاهلكم و قد عبر عن هذا قائلا: "كنت أتذكر جيدا و أنا طفل في المدرسة القرآنية جباة الضرائب عندما يأتون في منتصف سبتمبر من البلدية المختلطة الطاهير لجمع الضرائب من الفلاحين ...انه فرق واضح بيننا و بين الفرنسيين[7]هناك مشهد و

(1) - نفسه،ص58.

(2) - فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، المصدر السابق ،ص148.

(3) - فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، المصدر السابق ،ص69-70.

(4) - ان المبادلات و المعاملات أصبحت تخضع لمبادئ الرأسمالية، ان الرأسمال الفرنسي كان في الظاهر فقط رأسمالا ليبراليا يعتمد حرية السوق و التنافس ففي الواقع كان العامل السياسي هو المسيطر فيه و كانت الدولة تلعب دورا أساسيا في سير النظام و دعمه و الدفاع عنه. محمد حربي، المرجع السابق،ص88.

(5) - تم ربط الاقتصاد الجزائري بالفرنسي من خلا صدور قرار الوحدة الجمركية منذ1851و تم احتكار النقل البري و البحري بعد ذلك وأخذت البضائع الفرنسية تغمر أسواق الجزائر و تحطم رأسمال التجار و الحرفيين الجزائريين. يحي بوعزيز، المرجع السابق،ص63.

(6) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، المصدر السابق ،ص148.

(7) - كان الأهالي في مركز المغلوبين المقهورين المحكوم عليهم أن يؤدوا الى الغالبين القاهرين جزية قاصمة للظهر، فأملاك الأهالي مفروضة عليها ضرائب المحصولات و ضرائب الماشية و أما أملاك الفرنسيين و اليهود فلم تفرض عليها

لكنه مشهد مأساوي رأيته بعيني الفلاحون الفقراء الذين كانوا لا يستطيعون دفع ضرائبهم يتعرضون للعقاب ...و قد توصلت الى سرقة الأموال من أمي لأدفعها لهؤلاء الفلاحين لتحريرهم حيث ينقصهم فرنكان أو ثلاث فرنكات فقط هذا شيء مؤلم جدا و يجعلني حزينا."[1] و كانت الغرامات[2]عديدة و متنوعة و مدمرة فمن أجل بضعة أقدام من التبغ لم تحترم فيها الأبعاد النظامية يغرم مرتكبها بغرامة تتراوح ما بين 5 و 10 الاف فرنك في حين أن ثروة الجانح كلها لا تتجاوز في معظم الحالات 1500 فرنك[3]

**ثالثا: أسس النهوض بالمجتمع و الاقتصاد الجزائريين**

قدم فرحات عباس من خلال كتابه الشاب الجزائري و ليل الاستعمار حلا للمشاكل التي كان يعاني منها المجتمع الجزائري الاجتماعية و الاقتصادية و اعتبر الاحتلال الفرنسي و سياسته الاستعمارية التي كانت تهدف للقضاء على الشعب الجزائري بكل مكوناته و ساهم في سياسة الهدم التي تعرض لها الشعب الجزائري المستوطنين الأوروبيين بسبب أنانيتهم و تعنتهم[4]. و لهذا دعا الى المساواة بين الأهالي و المستوطنين و هذا يتطلب حدوث نهضة اجتماعية للأهالي مما يجعلهم محل احترام من طرف الفرنسيين[5]حيث بين أن الوسيلة الوحيدة لتحقيق ذلك هي المدرسة فطالب بفتح مدارس للأطفال ذكورا و اناثا[6] و يبن ضرورة اكساب الفلاح و العامل الجزائر تعليما متينا يدويا و اجتماعيا و هذا يساهم في تحضر السكان[7] و هذا ما يعبر عنه بقوله:"...مئة عام من الاحتلال لم تقدم شيئا للجزائريين ما عدا أنها أتت بستمائة ألف أوروبي هنا يتكالبون عل ممتلكات الأهالي و يخضعونهم بقوة

---

ضريبة، و فوق ذلك فان الأهالي مرغمين عل الكثير من أعمال السخرة لا يشترك فيها المستعمرون و لا اليهود. للمزيد أنظر: **سياسة فرنسا في شمال افريقيا**، مجلة الأهالي الوطنيين،عدد73،الصادر:30 ماي 1913،ص 16-17.

(1) - عز الدين معزة، **فرحات عباس و دوره في الحركة الوطنية و مرحلة الاستقلال**، المرجع السابق،ص38.

(2) - مثلا غرمت القبائل بعد ثورة 1871حيث وصلت التكاليف الى81 فرنكا عن الفرد الواحد و لم يتمكن الأهالي من تسديد ديونهم الثقيلة الا تدريجيا ببيع قطعان ماشيتهم و أراضيهم و غاباتهم و محاصيلهم الزراعية و لم يعد الأهالي يعملون الا من أجل الضرائب و الديون ،شارل روبير أجيرون، المرجع السابق، ص24.

(3) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، المصدر السابق ،ص154.

(4) - نفسه،ص55.

(5) - نفسه،ص37.

(6) - سنة 1882 عندما صدر التشريع المدرسي الذي أعلن عنه وزير التربية و الفنون الجميلة جول فيري و المتضمن انشاء مدارس لتعليم الجزائريين و جعل التعليم اجباريا ردود فعل مناهضة في الوسط الأوروبي الجزائري عندما جاء أوان تطبيقه فعبرت البلديات عن رفضها لإنجاز =هذا المشروع الباهض التكاليف و الخطير في أهدافه لأن صيحة الجزائريين اذا انتشر بينهم التعليم بناء على اعتقاد المعمرين ستكون الجزائر للعرب للمزيد أنظر: عبد الحميد زوزو، **تاريخ الاستعمار و التحرر في افريقيا و اسيا**، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،20009،ص73.

(7) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، المصدر السابق ،ص108.

السلاح ..." مما يعني أن الجزائريين لم يستفيدوا شيئا من الحضارة التي ادعت فرنسا أنها تريد ايصالها للجزائر. و دعا الى ضرورة توفير المستشفيات للأهالي لمحاربة الأمراض و تحصينهم ضدها لأن هذا يساهم في النهوض بالمجتمع الجزائري و باقتصاده [1].

و طالب بفك العزلة عن القرى و الدواوير و ربطها بالمدن لتسهيل عميلة التنقل وذلك بشق الطرقات باعتبارها عامل حضاري اضافة الى ضرورة كهربة الدواوير و توفير مياه صالحة للشرب و السقي[2]. و قدم برنامجا مفصلا لتطوير الفلاح الجزائري و تحسين وضعيته و اخراجه من دائرة الفقر و العبودية كإعادة الأراضي اليهم و تقديم المساعدة لهم[3] .

و أما الصناعة فيمكن تطويرها من خلال انشاء صناعة جزائرية و فتح ورشات أعمال كبيرة تكون ذات منفعة وطنية و تحسين وضعية العمال المالية و الاجتماعية[4].

**خاتمة:**

من خلا ما سبق يمكننا استنتاج العناصر التالية:

-تمكن فرحات عباس من تقديم صورة واضحة و دقيقة عن الواقع الاجتماعي و الاقتصادي للجزائر خلال الفترة الاستعمارية، من خلال تقديم أدلة دامغة تتمثل في معلومات و احصاءات دقيقة، و للبرهنة استعمل مقولات وشهادات القادة العسكريين و غلاة المستوطنين.

-عقد مقارنة بين أوضاع الجزائريين المسلمين و بين المستوطنين الأوروبيين و من لحق بركابهم كاليهود، ولام مجتمع المستوطنين و أدانهم و اعتبرهم سبب تخلف المجتمع الجزائري و تراجع اقتصاده من خلال سياسة الظلم المتمثلة في الابادة و السلب و النهب المسلطة على الأهالي من طرف حفنة من المستوطنين استطاعت بفضل المراسيم و القوانين الموضوعة لصالحها و خدمة لها أن تكون العنصر المسيطر، في حين سنت و طبقت مراسيم أخرى لإذلال الجزائريين و النيل من كرامتهم بكل الطرق و كلما كان ذلك ممكنا.

-بين أن العسكريين و المستوطنين تحافوا معا ضد الجزائريين المسلمين و كانوا يحقدون عليهم و شنوا ضدهم حربا شعواء لا هوادة فيها، بل كانوا يهدفون لإبادة العنصر الجزائري و احلال العنصر الأوروبي

(1) - نفسه،ص165.

(2) - فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، المصدر السابق ،ص172

(3) - نفسه،ص122.

(4) - نفسه،ص170.

محلهم و هنا أدان وحشية القادة العسكريين في ارتكاب مجازر رهيبة في حق الجزائريين و ارتكابهم عمليات تخريب و تدمير واسعة شملت ممتلكات الجزائريين.

-بعد الاحتلال و نتيجة للسياسة الاستعمارية ظهر في الجزائر مجتمعان متمايزان مجتمع المستوطنين الذين استولوا على كل شيء يخص الجزائريين و لديهم لك شيء و يعيشون على حساب الجزائريين، و مجتمع الجزائريين المسلمين الذين تم سلب ممتلكاتهم و استعبدوا فيها و كانوا سببا في الرخاء و الازدهار الاقتصادي لمجتمع المستوطنين، و بقى الجزائريون يئنون تحت و يلات النهب و الاستعباد و معرضون للموت ان لم يكن بسلاح العسكريين أو المستوطنين فيموتون بالجوع و الأمراض الخطيرة و حالة البؤس التي تطبع حياتهم.

-انتقد السياسة الاستعمارية و اعتبر الاحتلال بعيد كل البعد عن الحضارة و المدنية التي ادعاها الاستعماريون و بالتالي فانه لم يترك شيئا للجزائريين سوى الدمار و الموت و استغل البلاد و العباد لصاحه. لقد حمل هم شعبه و المشاكل التي يتخبط فيها من جراء الاحتلال و لهذا فانه يشعر بالاسى و الألم على الوضعية المزرية التي راح ضحيتها شعبه و لم يملك أدنى مقومات الحياة.

-قدم من خلال فكره الاقتصادي و الاجتماعي برنامجا سماه بالدواء المناسب لعلاج الداء الذي يعاني منه الجزائريون، و اعتبر الحلول الاجتماعية و الاقتصادية هي الكفيله بتحسين أوضاعهم ليصبحوا ندا للمستوطنين بل و يتفوقون عليهم لأنه لديهم من المؤهلات ما يجعلهم قادرين على بناء مجتمعهم لو أتيحت لهم الفرصة و في مقدمة هذه الحلول المدرسة و الطريق و المستشفى. أي أنه كان يسعى لتكوين مجتمع جزائري يتعايش فيه كل سكان الجزائر قائم على العدل و احترام حقوق الانسان و الغاء الظلم، الا أن السياسة الاستعمارية القائمة على التجبر و احتقار الاخر لم تسمح بنجاح هذا المجتمع.